

Humanities and Educational
Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2709-0302 (online)

الاستدلال بالقرآن الكريم على أن السنة النبوية
مصدر من مصادر التلقي عند أهل السنة
والجماعة في العقيدة(*)

<https://doi.org/10.55074/hesj.vi57.1977>

محمد بن باتل بن شيتان الرشدي
باحث بقسم العقيدة في كلية أصول الدين
بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة - السعودية
mohammdbatel@gmail.com

تاريخ قبوله للنشر 2/5/2026

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 1/3/2026

(*) موقع المجلة:

الاستدلال بالقرآن الكريم على أن السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة في العقيدة

محمد بن باتل بن شيتان الرشدي
باحث بقسم العقيدة في كلية أصول الدين
بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة - السعودية

الملخص

اعتمد أهل السنة والجماعة في إثباتهم للعقيدة وتقريرهم لها على مصادر ميزتهم عن غيرهم، فكان لسلامة مصدرهم أثر فريد في عصمة الأمة عن الخطأ، وعن الاضطراب في فهم العقيدة؛ وقد ظهرت اتجاهات تشكيكية في المصدر الثاني للعقيدة - هي السنة النبوية - تقصد إلى إضعافها ثم ردها بأساليب مختلفة، ومنها: الدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم في تلقي الدين.

ولما كان المصدر الأول للتشريع في كافة أمور الدين وقضاياها، هو القرآن الكريم الذي لم يختلف في الاحتجاج به أحدٌ من هذه الأمة، وقد اشتمل على أبلغ الحجج وأقواها، وتقدّم أدلته وبراهينه على ما سواها من الأدلة، هدَفَ هذا البحث إلى تقرير أن السنة النبوية مصدر من مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة من خلال كتاب الله تعالى، وذلك بجمع ودراسة الآيات الواردة في تقرير ذلك، وبيان دلالاتها المختلفة ونقل كلام أهل العلم في تفسيرها، مع بيان موقف المخالفين منها.

الكلمات المفتاحية: أهل السنة والجماعة، مصادر تلقي العقيدة، حجية السنة النبوية في العقيدة، السنة النبوية ومكانتها؛ التشكيك في السنة النبوية، إثبات العقيدة بالكتاب والسنة.

Qur'anic Evidence for the Prophetic Sunnah as a Source of Doctrine and Religious Authority According to Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah, and the Position of Those Who Oppose It

Muhammad ibn Batil ibn Shitan al-Rashidi

Doctoral researcher in the Department of Doctrine at the College of
Fundamentals of Religion

At the Islamic University of Medina

Abstract

Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah have relied, in establishing and articulating matters of creed, upon sources that distinguish them from other groups. The soundness of these sources has had a unique effect in safeguarding the Ummah from error and from confusion in understanding creed. Nevertheless, certain skeptical trends have emerged regarding the second source of creed-the Prophetic Sunnah-seeking to weaken it and ultimately reject it through various methods, among them the call to suffice with the Noble Qur'an alone in receiving the religion.

Given that the Noble Qur'an is the foremost source of legislation in all religious matters and issues, and that no one within this Ummah has ever disputed its authoritative status as evidence, and given that it embodies the clearest and strongest proofs, whose evidences and arguments take precedence over all others, this study aims to demonstrate, through the Book of Allah, Exalted is He, that the Prophetic Sunnah is one of the recognized sources of Islamic creed according to Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah. This is undertaken by collecting and studying the Qur'anic verses that establish this principle, clarifying their various indications, presenting the explanations of scholars concerning them, and setting forth the position of those who dissent from it.

Keywords: Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah, sources of receiving creed, the authority of the Prophetic Sunnah in creed; the Prophetic Sunnah and its status; skepticism toward the Prophetic Sunnah, establishing creed through the Qur'an and the Sunnah.

مقدمة البحث:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن أهل السنة والجماعة اعتمدوا في إثباتهم للعقيدة وتقريرهم لها على مصادر ميّزتهم عن غيرهم من أهل البدع والأهواء، وكانت السبب الذي جنبهم الوقوع فيما وقع فيه غيرهم من أهل البدع، فسلامة مصدرهم له أثر فريد في عصمة الأمة عن الخطأ والزلل والانحراف، وعن الاضطراب في فهم العقيدة؛ وذلك لأنها ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه. ولقد قام مذهب أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد على ثلاثة مصادر رئيسة وهي الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

وفي تقرير هذا الأصل يقول الإمام ابن عبد البر: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة"^(١). وأما ما سوى هذه الثلاثة من المصادر - كالعقل الصحيح والفطرة السليمة - فهي ليست مصادر مستقلة، بل هي مصادر تابعة للكتاب والسنة.

ولما كان القرآن الكريم هو "كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة"^(٢).

كان هو المصدر الأول للتشريع في كافة أمور الدين وقضاياها، ولم يختلف في الاحتجاج فيه أحد من هذه الأمة، قال ابن حزم في بيان ذلك: "ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن"^(٣).

لما كان الأمر كذلك أحببت أن أساهم في بيان الأدلة القرآنية لمصدر من مصادر العقيدة وهي السنة النبوية، وذلك من خلال الكتابة في موضوع: "الاستدلال بالقرآن الكريم على أن السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة في العقيدة".

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/١٩٥).

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٣/١٩٥).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١/٩٦).

أسباب اختيار البحث:

- ١ - استقراء ودراسة الآيات القرآنية التي تقرر أن السنة النبوية مصدر من مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة.
- ٢ - الفائدة العلمية والإيمانية العظيمة التي تتوخى من الكتابة في هذا الموضوع.

أسئلة البحث:

السؤال الرئيس العام لهذا البحث: هل قرر القرآن الكريم أن السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي عند

أهل السنة والجماعة؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

- ١ - ما طريقة القرآن في تقرير ذلك؟
- ٢ - ما أثر الانحراف في مصادر تلقي العقيدة في تقريرها وفهمها؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تقرير أن السنة النبوية مصدر من مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة من خلال كتاب الله تعالى، وذلك بجمع ودراسة الآيات الواردة في تقرير ذلك، وبيان دلالاتها المختلفة ونقل كلام أهل العلم في تفسيرها، فيكون هذا البحث مرجعاً لكل من أراد الأدلة القرآنية في هذا الباب المهم من أبواب العقيدة، وكلام أهل العلم عليها.

أهمية البحث:

- ١ - اشتمال القرآن الكريم على أبلغ الحجج وأقواها، وتقدم أدلته وبراهينه على ما سواها من الأدلة.
- ٢ - أن الاضطراب والخطأ والزلل في فهم العقيدة يعود إلى عدم سلامة المصادر.
- ٣ - نشاط الحركات التشكيكية والدعوات التنويرية التي تسعى إلى ردّ السنة النبوية بأساليب مختلفة، منها: الدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم في تلقي الدين.
- ٤ - أن جمع الآيات القرآنية الدالة على أن السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة - تلزم من خالف أهل السنة والجماعة في حجية السنة النبوية بما لا يُخالف في حجيته وهو القرآن الكريم، لوضوح آيات القرآن في الدلالة على حجية تلك الأدلة التي لا ينزع فيها المخالف.
- ٥ - أن في جمع الآيات القرآنية الدالة على أن السنة النبوية مصدر من مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة - مساهمة في تثبيت محكمات الدين في هذا الباب المهم من أبواب العقيدة، وإيجاد مرجع يحوي الأدلة القرآنية في أن السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي وكلام أهل العلم في بيانها وتقرير ما دلت عليه.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على جمع ودراسة الآيات القرآنية التي تقرر أن السنة النبوية مصدر من مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

الدراسات السابقة:

حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي للشيخ عبد القادر السندي، والسنة النبوية وحجيتها للدكتور إبراهيم الكندي، والسنة النبوية حجية وتدويناً لمحمد بن صالح الغرسي، ومكانة السنة في الإسلام للدكتور محمد أبو زهو.

هذه الأبحاث وغيرها، لم تتناول حجية السنة النبوية على وفق الخطة والمنهج اللذين سرت عليهما في البحث، وإن كانت قد ذكرت بعض الأدلة القرآنية لكنها لم تقصد جمع الآيات ودراستها على النحو الذي جاء في البحث.

خطة البحث: فيها أربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الاحتجاج بالسنة: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالسنة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: حجية السنة.

المبحث الثاني: تقرير دلالة الآيات الأمرة بطاعة الرسول على حجية السنة وأنها مصدر رئيس من مصادر التلقي في العقيدة: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الدالة على أن الله تعالى جعل طاعة الرسول من طاعته.

المطلب الثاني: الآيات الدالة على أن الله تعالى جعل طاعة رسوله من لوازم الإيمان ومخالفته من علامات النفاق.

المطلب الثالث: الآيات الدالة على أن الله تعالى حذّر من مخالفة رسوله وتوعد من عصاه بالخلود.

المطلب الرابع: الآيات التي ورد فيها ثناء الله تعالى على من أطاع رسوله ووعدته إياه بالثواب.

المطلب الخامس: الآيات الدالة على أن الله تعالى أمر عباده بالاستجابة لرسوله ﷺ.

المبحث الثالث: تقرير دلالة الآيات الدالة على إخبار الله بأن السنة حكمة وبيان ووحى على حجية السنة وأنها مصدر رئيس من مصادر التلقي في العقيدة: فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي جاء فيها تسمية السنة بالحكمة والامتنان بها على هذه الأمة وعطفها على كتاب الله تعالى.

المطلب الثاني: الآيات الدالة على أن الله تعالى أخبر بأنه تكفل ببيان القرآن وأخبر عن رسوله بأنه يبين للناس ما نزل إليهم.

المطلب الثالث: الآيات الدالة على أن الله تعالى أخبر بأن السنة وحي.

المبحث الرابع: تقرير دلالة الآيات الآمرة بالتأسي بالرسول والتحاكم إليه على حجية السنة وأنها مصدر رئيس من مصادر التلقي في العقيدة: فيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الآيات الدالة على أن الله تعالى أمر بالتأسي برسوله واتباعه في جميع أحواله.
- المطلب الثاني: الآيات الدالة على أن الله تعالى أمر برد ما تنازع الناس فيه إلى رسوله ﷺ.
- المطلب الثالث: الآيات الدالة على أن الله تعالى نفى الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسوله.
- منهج البحث: هو المنهج الاستقرائي التحليلي.

المبحث الأول: أهمية الاحتجاج بالسنة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالسنة لغة واصطلاحاً:

تعريف السنة لغة:

قال ابن فارس: "سَنٌّ: السين والنون، أصل واحد مطَّرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة"^(١)، وتأني لمعانٍ كثيرة^(٢)، من أهمها الطريقة المسلوكة، سواء أكانت محمودة أم مذمومة، ومنه قوله: ﷺ "من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"^(٣)، فالسنة: الطريقة الحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة الحمودة^(٤).

أما في الاصطلاح: فتطلق على عدة معانٍ، بحسب اختلاف أغراض مستعملها:

- ١- السنة عند الأصوليين: ما صدر عن الرسول ﷺ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي^(٥).
- ٢- السنة عند المحدثين: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة (٦٠/٣).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٢٠/١٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار رقم: (١٠١٧).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥٦٢/٢).

(٥) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للأمامي (١٦٩/١)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني (٩٥/١).

(٦) انظر: حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي لعبد القادر السندي ص ٩٠، بحوث في تاريخ السنة المشرفة لأكرم

العمرى، ص ١٩.

٣- السنة عند الفقهاء: ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب^(١).

٤- تطلق السنة على ما يقابل البدعة: هي ما عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والعبادات، وإن كان الغالب تخصيص اسم السُّنة بما يتعلق بالاعتقادات^(٢).

والسنة بتعريف الأصوليين هي المقصودة في هذا البحث، فهي بهذا المعنى مصدر من مصادر التلقي.

المطلب الثاني: حجية السنة

إذا كان القرآن الكريم هو مصدر الدين الأول، عقيدة وشريعة، فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني، بل هي مثل القرآن في الاحتجاج؛ فإنَّ مَنْ آمَن بكتاب الله لا بد أن يؤمن بأن كل ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - هو حق من عند الله، وأن الأخذ به أخذٌ بالقرآن، وأن الترك له تركٌ للقرآن^(٣).

وذلك أن الوحي نوعان: أحدهما: وحي متلو، وهو القرآن المنزل على محمد رسول الله ﷺ بلفظه ومعناه، وهو المتعبَّد بتلاوته، والثاني: وحي غير متلو، وهو المروي عن النبي ﷺ المبين عن الله ﷻ^(٤).

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على حجية السنة وأنها المصدر الثاني لتلقي الدين، فأما نصوص القرآن الكريم فإن هذا المبحث منعقد لبيان دلالات القرآن الكريم على ذلك، وأما الأدلة النبوية فكثيرة جداً منها قوله ﷺ: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، وإن ما حرّم رسول الله كما حرم الله"^(٥).

وأما الإجماع فإن الأمة سلفاً وخلفاً انعقد قولها على حجية السنة، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "أجمع الناس على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"^(٦).

ويظهر أهمية تقرير حجية السنة وأنها مصدر من مصادر الدين والعقيدة، عندما تقرر العقائد والأحكام الزائدة على القرآن الكريم، فإن "السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

(١) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٩٥/١)

(٢) انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة لابن رجب ص ٣٢٠.

(٣) انظر: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لعبد الحميد بن باديس ص ١٠٣.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١١٢/٤).

(٥) سنن أبي داود (٤٦٠٤) وصححه الألباني.

(٦) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٤٠/٤).

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمه لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ: تجب طاعته فيه، ولا تخل معصيته، وليس هذا تقدماً لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به"^(١).

فثبتت حجية السنة المطهرة واستقلالها بالتشريع ضرورة دينية، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام"^(٢).

المبحث الثاني: تقرير دلالة الآيات الآمرة بطاعة الرسول على حجية السنة وأنها مصدر رئيس من مصادر التلقي في العقيدة:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الدالة على أن الله تعالى جعل طاعة الرسول من طاعته:

كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه فَقَدْ أَطَاعَ الله تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وقد دلت آيات في كتاب الله على ذلك، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

"يخبر تعالى في هذه الآية خبراً في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له، وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع"^(٣)، ذلك لأن الرسول ﷺ مؤدّ عنه - عزّ شأنه، فطاعته طاعته، ومعصيته معصيته، ولا تظهر فائدة الشرائع بدون امتثالها، وهذا المراد بقوله تعالى: ﴿رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بأمر الله لأن طاعة الرسول وجبت بأمر الله، قال مجاهد: أي لا يطيع أحد إلا بإذني"^(٤)، يعني: لا يطيعهم إلا من وفقته لذلك، وحسنت العبارة بالإذن، إذ بنفس الإرسال تجب طاعته وإن لم ينص أمر بذلك"^(٥).

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (٨٤/٤).

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني (٩٧/١).

(٣) تفسير السعدي ص ١٨٤.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير (٥١٦/٨).

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٧٤/٢)، وتفسير ابن كثير (٢٥٦/٦)، وتفسير السعدي ص ١٨٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور

(١٠٩/٥).

والمراد بقوله تعالى: ﴿يَاْذُنِ اللّٰهِ﴾، الإذن الشرعي، فإن (إذن الله) تعالى ينقسم إلى قسمين: إذن كوني، وشرعي، ويدل لذلك أن من الرسل من أطيع، ومنهم من عُصي تارة أو دائماً، ولو كان المراد بالإذن (الإذن الكوني) لم يكن في الأرض عصيان للرسل مطلقاً، هذا خلاف الواقع والدليل^(١).

"وقد اتفق المسلمون على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق إلا الرسل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ وأما من دؤهم فيطاع إذا أمر بما أمروا به، وأما إذا أمر بخلاف ذلك لم يُطع، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني"^(٢)، وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه بعث أميراً على سرية قال: "على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية الله فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة"^(٣)(٤).

١- قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ وَمَنْ قَوْلَ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]. دلت هذا الآية على إعداء من الله إلى خلقه في نبيه محمد ﷺ، فإنه قد يتوهم السامعون التفرقة بين الله ورسوله في أمور التشريع وتلقي الدين، فأثبت أن الرسول في تبليغه إنما يبلغ عن الله، فأمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وطاعته طاعة الله، وقد دل على ذلك كله قوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ﴾ لاشتغالها على إثبات كونه رسولاً واستلزامها أنه يأمر وينهى، وأن ذلك تبليغ لمراد الله تعالى، فمن كان على بينة من ذلك أو كان في غفلة فقد بين الله له اختلاف مقامات الرسول^(٥).

فإن أمر الله - عز وجل - بطاعته مطلقاً دليل على عصمة الرسول ﷺ، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقاً، ويمدح على ذلك، فلذلك قال الحسن - رحمه الله: جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين^(٦).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٧/١١).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٧١٣٧)، ومسلم ١٨٣٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٦/٦)، والتيسير في أحاديث التفسير لحمد الناصري (٥٥٦/٤)، أخرجه البخاري رقم: (٧١٤٤)، ومسلم ١٨٣٩.

(٤) بغية المراتد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لابن تيمية ص ٤٩٥.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٦/٦)، والتيسير في أحاديث التفسير لحمد الناصري (٥٥٦/٤).

(٦) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (٨٤/٢)، فتح البيان لحسن خان (١٨٥/٣)، وتفسير السعدي ١٨٩.

المطلب الثاني: الآيات الدالة على أن الله تعالى جعل طاعة رسوله من لوازم الإيمان ومخالفته من علامات النفاق:

بَيَّنَّ اللهُ - عز وجل - في كتابه الكريم أنه لا يتم ولا يكمل إيمان من آمن بالله إلا بالإيمان بالرسول وطاعته، وجعل طاعة رسوله من لوازم الإيمان ومخالفته من علامات النفاق، ومن الآيات التي تدل على ذلك:

١- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا الْوَلَدَيْنِ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة النور: ٦٢].

يأمر الله المؤمنين إذا كانوا مع رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - على أمرٍ جامع أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، ألا يفارقوا مجلسه إلا بإذنه، وأكد هذا الأمر بما وطأ له من ذكر الإيمان بالله ورسوله، تنبيهاً على أنه من مقتضاهما، وبقرنه بهما، وجعله ثالثاً لهما، تعظيماً لشأنه، وتنبيهاً على ملازمته لهما ممن صدق فيهما؛ حتى كان غير المستأذنين لا إيمان لهم^(١).

وبين تعالى في أول السورة أنه أنزل آيات بينات، وإنما النزول على محمد ﷺ، فختم السورة بتأكيد الأمر في متابعتها ﷺ، ليعلم أن أوامره كأوامر القرآن^(٢).

لما جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي في تفاصيل الدين: أصوله، وفروعه، دقيقه، وجليله إلا بعد استئذانه، وإذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه^(٣).

٢- ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧-٤٨].

يخبر تعالى عن حالة المنافقين، أنهم يقولون: آمنا بالله، وآمنا بالرسول، وأطعنا الله، وأطعنا رسوله، ثم تتولى طائفة منهم^(٤)، فلا يطيعون الله ورسوله في الأمر بالجهاد في سبيل الله وغيره بعد ما زعموه من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهم، فحكم عليهم ﷺ بعدم الإيمان فقال تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ المتولون عن طاعة الله ورسوله بالمؤمنين وإن ادَّعوا أنهم مؤمنون.

(١) انظر: تفسير السعدي ص ٥٧٦، وتفسير ابن باديس ص ٣٣٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٠/١٢).

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٤١/١)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٦٨/٢).

(٤) أشارت الآية إلى المنافقين عامة، ثم إلى فريق منهم أظهروا عدم الرضى بحكم الرسول ﷺ، فكلما الفريقين موسوم بالنفاق، ولكن أحدهما استمر على النفاق والمواربة، وفريقاً لم يلبثوا أن أظهروا الرجوع إلى الكفر بمعصية الرسول علناً، انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦٨/١٨).

وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى الله، وإلى الرسول ليحكم الرسول بينهم فيما يختصمون فيه، إذا هم معرضون عن حكمه لنفاقهم^(١).

وإنما جعل الدعاء إلى الله ورسوله كليهما مع أنهم دعوا إلى رسول الله ﷺ؛ لأن حكم الرسول حكم الله؛ لأنه لا يحكم إلا عن وحي^(٢).

ففي هذه الآيات دلالة على أن طاعة رسوله من لوازم الإيمان ومخالفته من علامات النفاق، وذلك عندما نفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن من أعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول: سمعنا وأطعنا^(٣).

٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

ذكر الله - جل شأنه - في هذه الآية الكريمة أن المنافقين إذا دعوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول ﷺ يصدون عن ذلك صدوداً أي: يعرضون إعراضاً، وذكر في موضع آخر أنهم إذا دعوا إليه ﷺ؛ ليستغفر لهم لو رأوه وسهم، وصدوا واستكبروا، وهو قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

فدللت هذه الآية الكريمة على أن من دُعي إلى العمل بالقرآن والسنة وصدَّ عن ذلك - فإنه من جملة المنافقين، فالإعراض عما جاء به الرسول والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدود بحكمه والتسليم لما حكم به رضا واختياراً محبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق^(٤).

وفي هذه الآية ذم لمن دعي إلى الله ورسوله فأعرض ورضي بالتحاكم إلى غيره، فكل من أعرض عن الداعي له إلى ما أنزل الله ورسوله إلى غيره فله نصيب من هذا الذم؛ فمستكثر ومستقل.

وهذه حال كثير ممن يشبه اليهود من أهل البدع ممن فيه نوع نفاق من هذه الأمة الذين يؤمنون بما خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ^(٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠٤/١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧٠/١٨).

(٣) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص ٣٨.

(٤) انظر: مختصر الصواعق لابن القيم (٧٠٥/١)، أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٥/١).

(٥) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٢٦٢/١)، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٦١/٢).

المطلب الثالث: الآيات الدالة على أن الله تعالى حذر من مخالفة رسوله وتوعد من عصاه بالخلود:

فرض الله على جميع الخلق الإيمان بالرسول ﷺ، وطاعته واتباعه، وإيجاب ما أوجبه، وتحريم ما حرمه، وشرع ما شرعه، وبه فرق الله بين الهدى والضلال، والرشاد والغي، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وبين أهل الجنة وأهل النار؛ فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة، ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار خلداً فيها، فلا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته وترك معصيته.

وقد جاء في كتاب الله ما يبين خطورة مخالفة الرسول ﷺ وتوعد من عصاه بالخلود بالنار، فدل ذلك على وجوب العمل بجميع الأوامر التي صدرت من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإن لم تكن في القرآن فيجب العمل بها، لأن السنة النبوية هي المصدر الثاني لدين الإسلام^(١).

أولاً: الآيات الدالة على أن الله تعالى حذر من مخالفة رسوله

١- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

٢- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُمِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

٣- قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٤- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَصْرِوهُ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلَكِنَّ كُفْرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

٦- قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

(١) انظر: الإخائية لابن تيمية ص ٣٠٨.

دلت هذه الآيات على التحذير من مخالفة الرسول ﷺ، فالآية الأولى فيها بيان لحال من كفر وعصى الرسول أنهم يتمنون أن يستوتوا بالأرض، فيكونوا ترابًا، مما يرون من أهوال الموقف، وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ، قال قتادة بن دعامه: "وَدُّوا لو انْحَرَقَتْ بهم الأرض، فساخوا فيها"^(١).

أما الآية الثانية فكرر (وأطيعوا) اهتمامًا بالأمر بالطاعة، وعطف (واحذروا) على (أطيعوا) أي: وكونوا على حذر من مخالفة رسوله، فإن توليتم عن طاعة الرسول فاعلموا أن لا يضر توليكم الرسول لأن عليه البلاغ فحسب، وإنما يضركم توليكم، فقد قامت عليكم الحجة وانتهت الأعذار، والرسول قد خرج عن عهدة التبليغ إذ أداه بما لا مزيد عليه، فما بقي بعد ذلك إلا العقاب، وفيه تهديد عظيم ووعيد شديد في حق من خالف وأعرض عن حكم الله ورسوله^(٢).

وتوعد الله في الآية الثالثة من يخالف أمر رسول الله ﷺ، وهو منهاجه وطريقته وسنته وشريعته، بترك العمل بمقتضاه، أو يذهبون سمتًا خلاف سمتة، بالفتنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال سفيان - المراد بالفتنة - يطبع على قلوبهم^(٣)، وقال الإمام أحمد إنما هي الكفر، هذا تفسير بأحد أفراد المعنى، لأن الفتنة هنا غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن، فتشمل كل يصح تسميته فتنة، والمراد بالعذاب أي الأخروي، وقيل بالدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك.

وهذا الوعيد يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ إلى يوم القيامة، ولو كان ما بلغه لم يفده علمًا لما كان متعرضًا بمخالفة أمره للفتنة والعذاب الأليم، فإن هذا إنما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر^(٤).

واستدل بهذه الآية على وجوب وزن الأمور بميزان شريعته وسنته، وأصول دينه، فما وافق قبل، وما خالف رد على قائله وفاعله كائنا من كان^(٥)، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٦). بين الله تعالى في الآية الرابعة أن من خالف الرسول وشاقه، فكان في شقِّ الرسول ﷺ في شق آخر، من بعد ما اتضح له الحق، بعدم التوفيق للخير، سيدخله نار جهنم يقاسي حرَّها، أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويحققه بالكلية^(٧).

(١) انظر: تفسير القرآن لابن المنذر (٧١٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٧/٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٧)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٢٤٦/٤).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١٣٠/١١).

(٤) انظر: مختصر الصواعق لابن القيم (٧٤٤/١)، فتح القدير للشوكاني (٦٨/٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٧)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٢٤٦/٤).

(٦) صحيح البخاري (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم (١٧١٨) واللفظ له.

(٧) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٢١/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٢/٧).

وفي الآية الخامسة وعيد لمن حادَّ الله ورسوله بالكفر والمعاصي، فكانوا في حد والشرع في حد، فإن المحادة من المشاققة لأن المحادة من الحد والفصل والبيئونة، فهؤلاء مجانبون للحق مشاققون له، هم في ناحية والهدى في ناحية، فعوقبوا بأنهم أهينوا ولعنوا وأخزوا، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم، جزاء وفاقا، وهم داخلون في جملة الأذلين الذي لا يوجد أحد أذل منهم في الدنيا والآخرة^(١).

وفي الآية الأخيرة دلالة واضحة بأن ما كل جاء به رسول الله ﷺ من أمر يجب اتباعه، أو نهي يجب اجتنابه، فإنه لا يأمر إلا بإصلاح، ولا ينهى إلا عن فساد، وتوجب أن كل ما أمر به النبي ﷺ أمرٌ من الله، وأن كل ما نهي عنه النبي نهيٌ من الله، فقد جمعت أمور الدين^(٢)، لذلك قال بعض العلماء في هذه الآية: "كل ما ثبت عنه ﷺ، يصح أن يقال: إنه في القرآن، أخذًا من هذه الآية"^(٣).

بهذا الآيات يتبين خطورة مخالفة نبينا ﷺ، وأن ما جاء به يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، هذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه^(٤).

ثانياً: الآيات الدالة على أن الله تعالى توعد من عصا رسوله بالخلود

١- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَآمَدَ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٦١] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٢﴾ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

٣- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [٢٣] إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٢-٢٣].

دلت هذه الآيات على أن من عصى الرسول ﷺ متوعد بالخلود، سواء كان ذلك الخلود خلوداً نسبياً، الذي يُراد به طول البقاء، وهذا للعصاة الموحدين، أو الخلود الأبدي كخلود الكفار الذين يبقون في النار إلى غير نهاية؛ فالآيات دلت أن من علامات الإيمان تعظيم نواهي الله ورسوله، والوقوف عند حدودهما، فمن عطل أحكامه وترك العمل بها، أو الشك فيها، وتجاوز حدود ما شرعه، يدخله ناراً مأكثاً فيها، وله فيها عذاب مُذِلٌّ وخزي عظيم،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/٨)، وأضواء البيان للشنقيطي (٥٥٤/٧).

(٢) انظر: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (١٥/٧)، وآثار عبد الرحمن المعلمي (٢٤٥/٧).

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (١٨٦/٩).

(٤) انظر: تفسير السعدي ٨٥٠.

فإن كانت المعصية تامة كالشرك، دخل النار وخلد فيها، وإن كانت دون الشرك، كان خلوده نسيباً، لما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود الأبدى^(١).

في الآية الثانية يحذر الله ﷻ أنه أبعد الكافرين به من كل خير، وأعد لهم في الآخرة نازاً تتقد وتتسعر ليصليهموها، ماكنين في السعير أبداً إلى غير نهاية، ثم ذكر أن الكفار في يوم القيامة تقلّب وجوههم في نار جهنم، فيتحسرون ويندمون حيث لا تغنيهم الندامة والحسرة، وقد علموا يومئذ أن ما كان يأمرهم به النبي ﷺ هو تبليغ عن مراد الله منهم وأنهم إذ عصوه فقد عصوا الله تعالى فتمنوا يومئذ أن لا يكونوا عصوا الرسول المبلغ عن الله تعالى^(٢).

يقول تعالى ذكره - في الآية الثالثة - لنبيه محمد ﷺ: قل لمشركي العرب: إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً، وليس لي منزلة على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا تقوم الحجة على الناس، فأما الرشd والخذلان، فبيد الله، هو مالكة دون سائر خلقه يهدي من يشاء ويخذل من أراد، ومن يعص الله فيما أمره ونهاه، فيكذب به رسوله، فبحمد رسالته، فإن له نار جهنم يصلها، ماكنّا فيها أبداً إلى غير نهاية^(٣).
في الآية الثانية والثالثة المراد بالمعصية الكفرية لله ولرسوله، بخلاف الآية الأولى، بدليل التصريح بالخلود المؤبد، أما أهل المعاصي من المؤمنين فهؤلاء لا يخلدون التخليد الأبدى كما تقدم.

المطلب الرابع: الآيات التي ورد فيها ثناء الله تعالى على من أطاع رسوله ووعدته إياه بالثواب:

ذكر الله ﷻ طاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعاً من كتابه الكريم، ويبيّن أن له الطاعة الكاملة المطلقة، لا تردّد فيها ولا التواء، فطاعته هي الصراط المستقيم وهي حبل الله المتين، وهي العروة الوثقى، فلذلك أثنى ﷻ في آيات عديدة على من أطاع رسوله، وذكر ثواب من أطاعه، وما يناله المطيع من الجزاء بالحسن^(٤).

ومن الآيات التي تدل على ذلك:

أولاً: قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

(١) انظر: تفسير السعدي ص ١٧٠، وقطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني لعبد المحسن العباد البدر ص ١٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٣٠/٢٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١٦/٢٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦٧٠/٢٣)، وتفسير السعدي ص ٨٩١.

(٤) انظر: الرد على الأخنائي لابن تيمية ٢٣٦.

شَرَفَ اللهُ رَسُوْلَهُ ﷺ بِأَنْ أَعْطَاهُ عَظْمَةً مِنْ عَظْمَتِهِ، فَجَعَلَ طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَتِهِ وَعَصِيَانَتَهُ عَصِيَانَتَهُ، لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِهِ، وَيَحْكُمُ بِشَرْعِهِ، خَتَمَ بِهِ النَّبُوَّةَ وَالرَّسَالَةَ فَجَعَلَ رِسَالَتَهُ مَحِيطَةً بِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، فَوَصَفَ اللهُ ﷻ الْمَطِيعِينَ لِلَّهِ وَرَسُوْلِهِ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، بَلْ حَصَرَ الْفَوْزَ فِيهِمْ، وَوَعَدَهُمُ بِالثَّوَابِ الْكَبِيرِ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ فَوْزَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَرْهُونٌ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَالْحُسْرَانَ الْمَبِينَ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَةِ الْعَصَاةِ الْخَارِجِينَ عَنْ تِلْكَ الطَّاعَةِ^(١).

"وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة، واشتملت هذه الآيات، على الحق المشترك بين الله وبين رَسُوْلِهِ، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرَّسُولِ، وهو التعزير والتوقيف، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: ﴿لَتَوْفِّقُنَا بِاللَّهِ وَرَسُوْلَهُ وَتَعَزَّزُوهُ وَتُوقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيْلًا﴾^(٢).

ثَانِيًا: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُوْلَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤَقِّمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] أوجب الله ﷻ في هذه الآيات السعادة لمن أطاع الله ورَسُوْلَهُ، أنهم سيكونون في صحبة من أنعم الله تعالى عليهم بالجنة، مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانياتهم.

لعظم شأنهم وقدرهم وصفوا بأنهم المفلحون الظافرون بخير الدنيا والآخرة، والناجون من شرهما، لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح وهو طاعة الله ورَسُوْلِهِ، فلذلك سيدخلهم الله في رحمته، ويشملهم بإحسانه^(٣).

يتبين بهذه الآيات أن السنة النبوية هي مصدر لهذا الدين العظيم، من وجهين:

الأول: أن الله حث على طاعة رَسُوْلِهِ، وذلك بالثناء على من أطاعه ووعد له بالثواب، فذكر الثواب على فعل الشيء يعني الترغيب فيه والحث عليه.

ثانيًا: أن طاعة الرَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طاعة لله، ومن أطاع الرَسُولَ استحق الثناء كالذي أطاع الله^(٤).

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢٠/٤٩٧)، والتيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي (١٦٥/٥).

(٢) تفسير السعدي ص ٥٧٣.

(٣) تفسير السعدي ص ٣٠٥، والتفسير الميسر ص ٨٩.

(٤) تفسير ابن عثيمين لسورة النساء ص ٥٠٥.

المطلب الخامس: الآيات الدالة على أن الله تعالى أمر عباده بالاستجابة لرسوله ﷺ

أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالاستجابة لرسوله الأمين، وأصل الاستجابة بالقلب ثم تظهر على البدن، وهي قول يدل على الاستعداد للحضور، والإقبال على المنادي بالقدوم، فمعنى الاستجابة للرسول الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهي عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه، وهذا يدل على أن السنة النبوية مصدر من مصادر العقيدة، لأن الله سبحانه لم يكتف بالطاعة للرسول بل أمر بالاستجابة لكل ما يدعو إليه^(١).

ومن الآيات التي تدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]:

يخبر ﷻ في هذه الآية أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهرًا وباطنًا، بما يدعونا إليه من العلم والإيمان، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بجمية، مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات.

فالذين استجابوا لله ولرسوله هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول.

يتبين مما سبق أن معنى الحياة بالآية يشمل أغلب المعاني التي ذكرها المفسرون، فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحوي القلوب الحياة الطيبة، وكمال الحياة في الجنة، والرسول داع إلى الإيمان وإلى الجنة، وهو داع إلى الحياة في الدنيا والآخرة.

ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، فإياكم أن تتشاقوا عن الاستجابة فتردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة، وعقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته، فيكون كقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] وقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١]^(٢).

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨٠/٢)، وتفسير السعدي ص ٣١٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٠٣/١١)، والفوائد لابن القيم ص ٩٠، تفسير السعدي ص ٣١٨.

المبحث الثالث: تقرير دلالة الآيات الدالة على إخبار الله بأن السنة حكمة وبيان ووحى على حجية السنة وأنها مصدر رئيس من مصادر التلقي في العقيدة: فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي جاء فيها تسمية السنة بالحكمة والامتنان بها على هذه الأمة وعطفها على كتاب الله تعالى:

إن الله تعالى أمرنا باتباع ما أنزل إلينا من ربنا، وقد أنزل علينا الكتاب والحكمة، فكتاب الله هو القرآن الكريم، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم، فلذلك كانت السنة النبوية هي المصدر الثاني في هذا الدين العظيم^(١).

ومن الآيات التي تدل على ذلك:

- ١- ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].
- ٢- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].
- ٣- ﴿وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].
- ٤- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].
- ٥- ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].
- ٦- ﴿وَاذْكُرْتَ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

امتنَّ الله ﷻ في هذه الآيات على العباد بإرسال رسوله بهذه الأمور الأربعة: تلاوة آياته عليهم وتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة، وقد أفرد تعليمه الكتاب والحكمة بالذكر لعظمهما في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾، وقوله: ﴿وَاذْكُرْتَ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

(١) انظر: تفسير الطبري (١/١١٨)، والروح لابن القيم (١/١١٦).

وقد دل مجموع هذه الآيات أن الحكمة غير الكتاب، بدلالة العطف الذي يقتضي المغايرة، ثم أضافت آية النساء معنى جديداً، وبينت أن الحكمة نازلة من عند الله - تبارك وتعالى - كالكتاب تماماً الذي هو القرآن. فالمراد بالحكمة: هي السنة، وقيل: هي معرفة الدين والعمل به، وقيل غير ذلك، وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور؛ والحق والباطل؛ وتعليم الحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الأعمال الحسنة من القبيحة؛ والخير من الشر وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)^(١)، ولأجل هذا كله وصفت السنة بالحكمة لأنها تتضمن جميع المعاني السابقة، وكذلك لما كانت السنة من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فإن كلام البشر قد يرد عليه احتمال ألا يكون مشتملاً على الحكمة، فبين الله ﷻ أن السنة حكمة، وإن كانت من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام أو من فعله فإنها حكمة؛ لأنها موافقة للصواب^(٢).

ومن بسط القول في أن المراد بالحكمة هي السنة النبوية الإمام الشافعي حيث قال: "سمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ وهذا يشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يُجز - والله أعلم - أن يقال: الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله ﷺ"^(٣).

يتبين من كلام الشافعي - رحمه الله - أن وجه استدلاله بالآيات بالأمر التالية:

- ١- إن الله عطف الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، فيكون المراد بها السنة.
 - ٢- لأن الله ذكرها في معرض المنة على المؤمنين، ولا يمتن الله إلا بما هو حق وصواب.
- وبما أن القرآن واجب الاتباع فالمعطوف عليه وهي الحكمة تأخذ الحكم نفسه، فالعطف بالواو الدالة على الاشتراك في الحكم وهو واجب الاتباع، وقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء ٨٠].

يتبين مما سبق أن السنة النبوية مصدر رئيسي لأصول الدين وفروعه^(٤).

(١) أخرجه أحمد في المسند رقم: (١٧١٤٢)، وابن ماجه في السنن رقم: (٤٣)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٥/١٩)، وتفسير ابن كثير (٤٤٥/١)، وتفسير ابن عثيمين عند قوله: ﴿وَأَذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

(٣) الرسالة ص ٧٣.

(٤) انظر: تفسير ابن عثيمين عند قوله: ﴿وَأَذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، والسنة النبوية وحى من الله، لأبي لبابة بن الطاهر ص ٢٠.

المطلب الثاني: الآيات الدالة على أن الله تعالى أخبر بأنه تكفل ببيان القرآن وأخبر عن رسوله بأنه يبين للناس ما نزل إليهم:

إن الله تبارك وتعالى اصطفى محمداً ﷺ بنبوته، واختصه برسالته، فأنزل عليه كتابه القرآن الكريم، وأمره فيه - في جملة ما أمره به - أن يبينه للناس، فبين نبينا ﷺ حروف القرآن كما بين ما قد يخفى من معانيه؛ إذ إن بعثته تدور على ذلك.

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن السنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبّر عن مجمله، وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر^(١)، قال الإمام أحمد رحمه الله: "السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن"^(٢)، فلذلك أوضح أهل العلم منازل السنة النبوية مع القرآن، وأنها على ثلاث منازل:

المنزلة الأولى: أن تأتي موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

المنزلة الثانية: أن تأتي مبينة لكتاب الله، وذلك ببيان مجمله، وتخصيص عامه، وتقيد مطلقه، وتوضيح المشكل.

المنزلة الثالثة: أن تأتي السنة بأحكام زائدة على ما في القرآن، فتبينه بياناً مبتدأ، فتوجب أمراً سكّت القرآن عن إيجابه، أو تحرم أمراً سكّت القرآن عن تحريمه^(٣).

وقد دلت عدة آيات على هذا المعنى:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]:

في هذه الآية يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يبين للناس القرآن: لفظه ومعناه، فبلغ ما يخفى من معانيه كما بلغ ألفاظه، فإن الله خصه دون سائر أمته بعلم تأويله، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ، وذلك بما أعطاه الله من الفهم الذي فقت فيه جميع الخلق، واللسان الذي هو أعظم الألسنة وأفصحها، فبين المجمل، وشرح ما أشكل، من علم أصول الدين الذي رأسه التوحيد، ومن البعث وغيره^(٤).

و"كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه، ولهذا وصل العلم بمعانيه، إلى من لم يصل إليه حفظ ألفاظه، والنقل لتلك المعاني أشد تواتراً وأقوى اضطراراً، فإن حفظ المعنى أيسر من حفظ اللفظ، وكثير من الناس يعرف صورة المعنى ويحفظها، ولا يحفظ اللفظ"^(٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣١/١٧).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي (١٧٥/١).

(٣) انظر: الطرق الحكمية لابن القيم (١٨٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨٨/١)، ونظم الدرر للبقاعي (١٦٨/١١).

(٥) الصواعق المرسلّة لابن القيم (٦٣٦/٢).

ويتضح مما تقدم أن حاجة القرآن للسنة وبيانها عظيمة، لذلك قال مكحول: "القرآن أخرج إلى السنة من السنة إلى القرآن"^(١).

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُرْآنَ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [القيامة: ١٩].

تكفل الله ﷻ في هذه الآية لنبيه ﷺ بحفظ ألفاظ القرآن الكريم وحفظ معانيه، وهذا البيان الذي تكفل الله تعالى به يعلم البيان للنبي ﷺ بأن يفهمه ما يعمض من معاني القرآن بإلهام أو وحي، والبيان للناس بلسانه ﷺ وتلك السنة^(٢).

ويدل على أن هذا البيان يشمل السنة، قول ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿قُرْآنَ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾ قال: "علينا أن نبينه بلسانك"^(٣).

وكذلك كلمة "بيانه" في قوله تعالى: ﴿قُرْآنَ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ﴾ جنس مضاف، فيعم جميع أصناف البيان بالقرآن الكريم من إظهاره وتبيين أحكامه وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك^(٤).
ويتبين مما سبق عظمة السنة النبوية، ومنزلتها العظيمة من الدين، ووجوب الأخذ بها، وأنها المصدر الثاني من مصادر العقيدة والتشريع في الإسلام.

المطلب الثالث: الآيات الدالة على أن الله تعالى أخبر بأن السنة وحي:

إن السنة النبوية بمنزلة القرآن الكريم من حيث وجوب العمل بها، ومن حيث إنها وحي، إلا أنها تلي القرآن بالمرتبة من حيث الاعتبار؛ لأنه مقطوع به جملة وتفصيلاً، والسنة مقطوع بها على الجملة لا على التفصيل؛ ولأنه هو الأصل، وهي الفرع؛ لأنها شارحة ومبينة له^(٥).
وقد اتفق أهل العلم أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام^(٦).
فكل ما يأمر به الرسول ﷺ، إنما هو بأمر الله له؛ فهو مبلغ لما أوحاه الله إليه، سواء كان ذلك الموحى إليه قرآنًا أو سنة، ويدل لذلك ما جاء في حديث المقدم بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "ألا إني

(١) انظر: السنة للمروزي ص ٣٣، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢٥٣/١).

(٢) انظر: رسالة في فرضية اتباع السنة ضمن آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي (١٥٣/١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قوله: { فإذا قرأناه فاتبع قرآنه } رقم: (٤٩٢٩).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦٨٣/٨).

(٥) انظر: الموافقات للشاطبي (٢٩٤/٤).

(٦) انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (٩٧/١).

أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، لا يوشك رجل يثني شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأجلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه^(١).

وقد دلت عدة آيات من كتاب الله تعالى على أن السنة النبوية وحي من الله:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ١-٤)
- ٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۚ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٧).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

٤- وقوله تعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَقَرَأْهُ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ [القيامة: ١٨-١٩].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَا بَلِيغَتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [النحل: ٤٤].

الآية الأولى نص قاطع في أن السنة النبوية وحي من الله ﷻ، فإن الوحي وحيان: وحي تعبدنا بتلاوته، وهو القرآن الكريم، وحي لم نتعبد بتلاوته وهو السنة، فلذلك قال حسان بن عطية: كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن^(٢).

والله ﷻ في هذه الآية أعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه إلا وحي يوحى فيعم نطقه بالقرآن والسنة وإن كليهما وحي يوحى^(٣).

ويدل على ذلك لما استأذنه عبد الله بن عمرو في أن يكتب ما يسمع منه، وقال له بعض قريش: إن رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق"^(٤).

ونصت الآية الثانية أن الرسول لا ينطق إلا بالوحي، بل فيها إخبار أن الله سبحانه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائناً من كان، وأنه لو قدر أن الرسول ﷺ غير الرسالة لانتقم منه - حاشاه أن يفعل ذلك، وحيث إن الله تعالى لم يأخذ من رسوله باليمين، ولم يقطع منه الوتين، أي لم يقض عليه، فإن الرسول ﷺ ما نطق إلا بما أوحاه الله تعالى إليه، سواء كان الوحي قرآناً أو سنة.

والآية الثالثة دلت على أن السنة وحي من الله، لأن الله عطف الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، ولا يصح أن تكون غير السنة.

(١) مسند الإمام أحمد (١٧١٧٤)، وصححه محققو المسند.

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل (٥٣٦)، والسنة للمروزي (١٢).

(٣) قال ابن القيم: "وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن"، انظر: التبيان في أيمان القرآن ص ٣٦٦.

(٤) مسند الإمام أحمد (٦٥١٠)، وصححه محققو المسند.

وفي الآية الرابعة يخبر تعالى أن بيان القرآن عليه ﷺ، وإذا كان عليه، فبيان من عنده تعالى، والبيان إنما وقع بالسنة، فدل ذلك على أن السنة من عند الله، فهي وحي كالقرآن سواء.

أما الآية الخامسة فدللت على أن الذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو من سُنَّة وحي يُبَيِّنُ بها القرآن، ففي القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم تفصيل ذلك إلا بالسنة، وفي الآية دلالة على أن السنة وحي كما أن القرآن وحي من الله^(١).

المبحث الرابع: تقرير دلالة الآيات الأربعة بالتأسي بالرسول والتحاكم إليه على حجية السنة وأنها مصدر رئيس من مصادر التلقي في العقيدة: فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الدالة على أن الله تعالى أمر بالتأسي برسوله واتباعه في جميع أحواله:

إن الخلق بحاجة إلى القدوة الحسنة، من كملهم الله بالأخلاق الفاضلة، وعصمهم من الشبهات والشهوات النازلة، وأعظم القدوات هو رسولنا ﷺ، فهو نبراس الهدى، ومصباح الدجى، يقتدي به الخلق، ويتخذون من سيرته وحياته قدوة يسرون على منواله حتى يصلوا إلى دار السلام، ويحطوا رحالهم في ساحة ربّ الأنام.

فالرسول ﷺ هو قدوة الأتباع، والأسوة الحسنة لمن أطاع، في العقائد والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، والاستقامة على دين الله.

فلا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا باتباعه، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهته، ولا يُنال رضى الله البتة إلا على يديه، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديه وما جاء به؛ فهو الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعته يتميز أهل الهدى من أهل الضلال^(٢).

وقد دلت عدة آيات على ذلك منها:

١- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]:

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ والاتباع: الاقتداء، فيلزم المسلم أن يجعل قدوته رسول الله ﷺ وذلك باتباع سنته، وجعلها مصدراً أصلياً من مصادر الدين^(٣).

(١) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٨٠/١) و(١٢٢/١).

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٦٨/١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩١/٦).

وكان أعظم الناس اقتداءً بنبيينا ﷺ صحابته الكرام، فعن عبد الله بن عباس: أن عمر أكتب على الركن، فقال: إني لأعلم أنك حجر، ولو لم أر حبي رسول الله ﷺ قبلك واستلمت، ما استلمت ولا قبلك، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

ولما كان الاتساع برسول الله والافتداء به على الوجه الأكمل، مقامًا عظيمًا في الدين، لأن رسول الله ﷺ يمثل الإنسان الكامل بين العالمين، نَبَّه كتاب الله على أن هذا المقام لا يبلغه إلا الأصفياء الأتقياء من أقوياء الإيمان واليقين، فقال تعالى: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، ويستلزم أن من ليس له فيه أسوة حسنة، فهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر^(٢).

ووصفه ﷺ الأسوة بالحسنة، فيها معنيان:

"المعنى الأول: أن التأسي بالرسول ﷺ كله حسن؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - معصوم من الخطأ في التشريع، فكل تأسي به فهو حسن، بخلاف التأسي بغيره، فقد يكون حسنًا، وقد يكون غير حسن.

المعنى الثاني: أسوة حسنة باعتبار تأسيًا به، لا باعتبار ما هو عليه، والأسوة الحسنة باعتبار تأسيًا به هو أن نكون موافقين له في القول والفعل والقصد الذي هو العقيدة، نوافقه في هذه الأمور الثلاثة؛ في العقيدة والقول والفعل، هذه الأسوة الحسنة، فمن وافقه في قوله دون فعله لم يتأسس به أسوة حسنة، ومن وافقه في فعله دون قوله لم يتأسس به أسوة حسنة، ومن تأسى في قوله وفعله دون عقيدته وقصده لم يتأسس به أسوة حسنة"^(٣).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]:

أمر في هذه الآية باتباع ما سنه رسول الله ﷺ، وكل حكم سنه الرسول لأمرته فقد ذكره الله ﷻ في كتابه العزيز بهذه الآية، فالقرآن وافي ببيان أصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله^(٤).

وقد فهم سلف هذا الأمة أن هذه الآية عامة في كل شيء، فكل ما ثبت عنه ﷺ، يصح أن يقال: إِنَّهُ فِي الْقُرْآنِ، أَخْذًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فعن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: (لعن الله الواشحات والمتوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد

(١) أخرجه أحمد (١٣١) وصححه محققو المسند.

(٢) انظر: التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي الناصري (١١٤/٥).

(٣) تفسير سورة الأحزاب لابن عثيمين ص ١٦٣.

(٤) انظر: تفسير السعدي ص ٨٥٠، وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين الهري (٢١١/٨).

قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، قالت: بلى، قال: فإنه قد نحى عنه ^(١).

فهذه الآية صريحة في أن السنة النبوية مصدر من مصادر الدين والعقيدة، وأنها بمنزلة القرآن العظيم بالاحتجاج، يبين ذلك ما جاء عن الهيثم بن عمران العبسي، قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله، يقول: "ينبغي لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، فإن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فهو عندنا بمنزلة القرآن" ^(٢).

المطلب الثاني: الآيات الدالة على أن الله تعالى أمر برد ما تنازع الناس فيه إلى رسوله ﷺ:

إن الله سبحانه بيّن المرجع عند التنازع وهو الرد إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، فدل ذلك أن السنة النبوية مصدر مستقل يجب اتباعها مطلقاً، سواء كان ما جاءت به في الكتاب أو لم يكن فيه، وقد دل على ذلك عدة آيات، منها:

أولاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِئِ الْأَمْرَ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

أمر سبحانه في هذه الآية بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، وانعقد الإجماع أن معنى الرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله سبحانه، والرد إلى رسوله ﷺ هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته ^(٣).

ولما أمر - سبحانه تعالى - بطاعته وطاعة رسوله، "وأعاد الفعل إعلماً بأن طاعة الرسول تحب استقلالاً من غير عَرْضٍ ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول، إيداناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فَمَنْ أَمَرَ مِنْهُمْ بطاعة الرسول وجبت طاعته، وَمَنْ أَمَرَ بخلاف ما جاء به الرسول فلا سَمْعَ له ولا طاعة" ^(٤)، ثم أمر تعالى برد ما تنازع فيه المؤمنون إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وهذا شرط شرطه الله عليهم بقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠٤).

(٢) أخرجه المروزي في السنة ص ٣٢ (١٠١).

(٣) انظر: الرسالة التبوكية لابن القيم (٤٧/١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٥/٢).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٨٩/٢).

[النساء: ٥٩] ولا رَيْبَ أن الحكم المعلق على شرط ينتفي عند انتفائه، ثم أخبرهم أن ذلك خير لهم في العاجل وأحسن تأويلاً في العاقبة^(١).

ثانياً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا سَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يحكم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكوهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليماً بانسراح صدر، وطمأنينة نفس، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، وانقياد بالظاهر والباطن، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها، فمن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين^(٢).

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

دلت الآية على أن ما اختلف فيه المختلفون وتنازعوا في شيء من الخصومات، سواء كان في الأمور الدينية أو الدنيوية، وسواء كان مع المؤمنين أو مع الكفار، يجب أن يكون التحاكم فيه إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك فباطل^(٣).

المطلب الثالث: الآيات الدالة على أن الله تعالى نفى الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسوله:

بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعتة تكون الهداية والصلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعتة، وجعل شقاوة الدارين في مخالفتة، فلا يتابعه الهدى والأمن والعزة والنصرة وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفته الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة. فلا حكم لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكل من سواه، فإنما يجب اتباعه على قوله إذا أمر بما أمر به، ونهى عما نهى عنه، فليس لأحد مخالفتة ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول^(٤).

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٩٢/٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (١٨٩/٢)، وتفسير ابن كثير (٣٤٩/٢)، وتفسير السعدي ص ١٨٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٩٣/٧)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٣٥٣/٨)، وتفسير السعدي ص ٧٥٣.

(٤) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣٩/١).

ومن الآيات التي تدل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]:

في هذه الآية قطع ﷺ التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئاً بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر فأمره حتم، بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه - عليه الصلاة والسلام - واختيارهم تلواً لاختياره، لأن الله تبارك وتعالى نفى خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسوله ﷺ، ثم أطلق على من بقيت له خيرة عند صدور الأمر اسم المعصية، ثم علق على المعصية بذلك الضلال، فدل ذلك على وجوب الإذعان لقضاء الله ورسوله. وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع، لا واجب الاتباع، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه، ولو ترك الأخذ بقول غيره لم يكن عاصياً لله ورسوله^(١).

فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ويدل لهذا العموم - وأنه ليس خاصاً بسبب النزول - ما جاء عن طاووس: أنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر. فنهاه، وقال ابن عباس: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم"^(٢)، قال الشافعي: "فرأى ابن عباس الحجة قائمة على طاووس بخبره عن النبي، ودلّه بتلاوة كتاب الله على أن فرضاً عليه أن لا تكون له الخيرة إذا قضى الله ورسوله أمراً"^(٣).

وروي في سبب نزول الآية أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: "بل فانكحيه"، قالت: يا رسول الله، أوامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ الآية، قالت: قد رضيت لي منكحاً يا رسول الله؟ قال: "نعم"، قالت: إذا لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسي^(٤).

فدلّت هذه الرواية أن قضى الله بمنزلة قضى الرسول، وذلك أن الأمر لهم الرسول ﷺ، فتعد أوامره أوامر الله تعالى، فهذا يدل على أن السنة النبوية مصدر من مصادر الدين والعقيدة^(٥).

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٤٠/١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٠٢٢)، أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٢٢٥) والبيهقي في سننه (١٢٩٥)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) الرسالة (٤٤٣/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٧١/٢٠).

(٥) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧٨/٨).

الخلاصة:

- وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:
- ١- قام مذهب أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد على ثلاثة مصادر رئيسة وهي الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة، وأما ما سوى هذه الثلاثة من المصادر - كالعقل الصحيح والفتوة السليمة - فهي ليست مصادر مستقلة، بل هي مصادر تابعة للكتاب والسنة.
 - ٢- اعتمد أهل السنة والجماعة في إثباتهم للعقيدة وتقريرهم لها على مصادر ميزتهم عن غيرهم من أهل البدع والأهواء.
 - ٣- سلامة مصادر أهل السنة والجماعة جنبهم الوقوع فيما وقع فيه غيرهم من أهل البدع، فسلامة مصدرهم له أثر فريد في عصمة الأمة عن الخطأ والزلل والانحراف وعن الاضطراب في فهم العقيدة؛ وذلك لأنها ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه.
 - ٤- القرآن الكريم هو وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة غيره، لذلك كان هو المصدر الأول للتشريع في كافة أمور الدين وقضاياه، ولم يختلف في الاحتجاج فيه أحد من هذه الأمة.
 - ٥- اشتمال القرآن الكريم على أبلغ الحجج وأقواها، وتقدم أدلته وبراهينه على ما سواها من الأدلة.
 - ٦- أن في جمع الآيات القرآنية الدالة على حجية السنة النبوية إلزاماً لمن خالف أهل السنة والجماعة في حجيتها على مسائل الاعتقاد بما لا يخالف في حجيتها وهو القرآن الكريم، لوضوح آيات القرآن في الدلالة على حجية تلك الأدلة التي لا ينازع فيها المخالف.

المصادر والمراجع:

- الأعلام. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي. ط ١٥، دار العلم للملايين: (٢٠٠٢م).
- البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل، ط ١، دار الفكر: بيروت، (١٤٢٠هـ).
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة. طاهر بن محمد الإسفراييني. تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، عالم الكتب لبنان: (١٤٠٣هـ).
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر (١٩٨٤م).
- تفسير المنار. محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني. الهيئة المصرية العامة للكتاب: (١٩٩٠م).
- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد طائفة من كتب التفسير فيها القول بالصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق: عبد العزيز الخليفة، ط ١، مكتبة الرشيد: (١٤١٧هـ).

- تفسير عبد الرزاق. عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني. دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١٩هـ).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط ١، مؤسسة الرسالة: (١٤٢٠هـ).
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن بمامة، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان: (١٤٢٢هـ).
- الجامع لأحكام القرآن المسمى تفسير القرطبي. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، دار الكتب المصرية: (١٣٨٤هـ).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١٥هـ).
- زاد المسير في علم التفسير. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١، دار الكتاب العربي: (١٤٢٢هـ).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. محمد ناصر الدين الألباني. ط ١، دار المعارف: الرياض، (١٤١٢هـ).
- الصفدية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ٢، مكتبة ابن تيمية: مصر، (١٤٠٦هـ).
- العذب المنير في مجالس الشنقيطي في التفسير. محمد الأمين الشنقيطي. ط ١، دار عالم الفوائد: (١٤٢٦هـ).
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني. ط ١، دار الكتب العلمية: (١٤٠٨هـ).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. ط ٣، دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤٠٧هـ).
- لسان العرب. محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري. ط ٣، دار صادر: بيروت، (١٤١٤هـ).
- لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية (شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية). محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي. دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصري، ط ١، مكتبة الرشد: (١٤١٥هـ).

المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم. د. أحمد سردار. ط ١، الجامعة الإسلامية: (١٤٣٠هـ).

مجموع الفتاوى. شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي. تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤٢٢هـ).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ٣، دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤١٦هـ).
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي. (د. ط)، دار الكتب العلمية: بيروت.
- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: (١٣٩٩هـ).
- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير. محمد بن عمر الرازي. ط ٣، دار إحياء التراث العربي: (١٤٢٠هـ).
- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور. أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين. ط ١، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة المدينة النبوية: (١٤٢٠هـ).